Print ISSN 2805-2838 | Art and Architecture Journal VOLUME 3, ISSUE 2, 2022, 209 – 221 | Online ISSN 2805-2846

The effectiveness of the role of Lebanese women in the heritage of handicrafts and crafts (Selected models of folk crafts in the villages of the Chouf and the south)

Dr. Ikram Al Ashkar
Lecturer at the Faculty of Arts - Lebanese University

Abstract:
The research addresses the issue of the role of Lebanese rural women in crafts and handicrafts by approaching what is transmitted through popular culture in particular. People's needs, concerns, aspirations, and concerns, which are established through cooperation, solidarity, harmony, and synergy between family members and the community to play a purely functional role in the ancient society.
The research notes that industries and crafts emerged from nature, and had their own specificity, as they played the main role in furnishing and equipping homes, and among these crafts: weaving, carpeting and rugs, decorating and making decorative dishes, spinning sheep and goat wool, cotton and hair, raising silkworms, and working needles, hooks and looms. And "Opsoon", embroidery on sheets, pillows, curtains and abayas.
However, with the advent of science, technology, and the information revolution, and the resulting development in various fields of knowledge and communication, and a change in the psychological and social structures, and in the thinking pattern of individuals, the individual began to separate from the group, and all of this was reflected in heritage and popular culture, as well as in the role of women, which was limited Her social relations in the past depended on the family and the limited rural community, while today her circle of relations has expanded to have a prominent role in the economic, social, cultural and political fields and many aspirations that drive her to success, brilliance, self-realization, and effective contribution to building and developing society.
The research concludes by saying that most of the industries, crafts, and simple manual material practices have transformed from collective values to individual values. modern...

Here, it is necessary to shed light on these transformations that this culture and this heritage is exposed to, which threaten its privacy and distinction and lead to its extinction over time.
In this context, the Visions and Transformations Conference (Second Session) comes to raise this problem and protect the loss of the sources of our popular heritage and our cultural identity due to the changes taking place in our contemporary world.

Key Words:
Role of Lebanese women- heritage- folk crafts- handicrafts

- **المقدمة:**

الحرفة الشعبية هي انتاج يدوي، يقتصر استخدامها في الغالب، على تلبية شؤون حياتية يومية، تواكب مسيرة الإنسان في القرية عادةً، في نهاره وليله. فالحرفة هي استخدام لأدوات عمل بسيطة، وتقوم على عدم وجود تقسيم للعمل. أما من ناحية الشكل فهي انتاج يميز مجتمعات ما قبل الرأسمالية، كما يمكن القول إن هذه الأشكال على الرغم من تنوعها، إلا أن الحاجة إلى استخدامها في هذه المجتمعات، كانت شبه ثابتة ومستقرة قبل انفجار الثورة الصناعية وصولا إلى ما يسمّى القرية الكونية.

ولعل أبسط شكل للحرفة هو انتاج الصناعة المنزلية من أجل تلبية احتياجات المنتجين (أي أهل القرية)، وتتمتع بطابعٍ مساعدٍ يلائم الاقتصاد الطبيعي، وهذه الصناعات والحرف انبثقت من الطبيعة وكانت لها خصوصيتها، وقد مهرت المرأة الريفية في صناعتها وتجويد الكثير منها عبر الزمن، حيث كانت تؤدي الدور الأساسي في تأثيث البيوت وتجهيزها، كما كان يمكن نقلها وممارستها من جيل إلى آخر، بالتقنيات نفسها إلى حدّ كبير.

يعالج البحث إذًا، فاعلية دور المرأة الريفية اللبنانية في تراث الصناعات اليدوية والحرفية التي كانت منتشرة في القرى والبلدات اللبنانية. وقد حدد البحث نماذج مختارة من هذه الحرف التي كانت في قرية الخريبة – قضاء الشوف (جبل لبنان)، كذلك اختار نماذج من بعض الحرف المتقاطعة من قرى في جنوب لبنان، بهدف إلقاء مزيد من الضوء على بعض التقنيات التي كانت مستخدمة في هذه الصناعة. ونستطيع القول إن لكل حرفة تفاصيلها ومراحل شغلها وحيثياتها.

أما اشكالية البحث فهي:

كيف تبدت فاعلية دور المرأة اللبنانية في صناعة الحرف الشعبية، فهل كان دورها في هذا الخصوص، أساسيًّا أم جاء مكملاً لدور الرجل؟

أما المنهج المختار للمعالجة فهو المنهج الوصفي الذي يستهدف التحديد الدقيق لموضوع دور المرأة في تراث الصناعات اليدوية والحرف، ومن خلال التحديد تحدد طرائق جمع البيانات. كذلك أُستخدم في البحث تقنيات المقابلة والملاحظة بهدف إبراز المراحل التي كانت تمرّ بها هذه الصناعات الحرفية. وكانت مقاربتي الحقلية في الحصول على المعلومات من خلال الحياة المعاشة عند النساء في القرية ومن خلال المقابلات المباشرة.

- **الفولكلور وروح الشعب**

يعكس الفن بمختلف أنواعه، المستوى الثقافي للمجتمع، وتعكس الأشكال المادية التي نراها في المجتمع، الادراك والوعي الجماعي، وقد زاد الاهتمام بالحياة الشعبية في الوقت الحالي، بسبب المخاوف من الاندثار، وعدم اهتمام الأجيال المعاصرة بها، وبإعادة العمل فيها، وصناعتها.

ونُظر إلى الفولكلور على أنه المرآة التي تنعكس فيها هذه الحياة بكل صورها وألوانها وتقاليد أهلها وعاداتهم وأغانيهم ولباسهم وأمثالهم وما إلى ذلك، مما يمثل روحهم ويكشف عن جوهرهم الإنساني. وكان تركيزنا على فروع الثقافة الشعبية التي تمثل روح الشعب والتراث الشعبي عند أي شعب كما يصفه الأديب اللبناني سلام الراسي (1911 – 2003)[1] في كتبه[2]، إذ يرى أن الثقافة الشعبية هي العادات والتقاليد والحكايات والأمثال والحكم، وكل النتاجات الفكرية التي أصبحت مع الأيام تراثا فاعلا متفاعلا تلازم حياتهم ويومياتهم[3]. والتراث هو الحاضنة التاريخية للشعب، لهذا وجب علينا عدم القطيعة مع موروثاتنا الخاصة.

في المقابل، يؤكد العلامة اللغوي عبدالله العلايلي (1914 – 1996)[4] أن الثقافة الشعبية الثرية بعطاءاتها وقدراتها تمثل الإحساس العام، وتعبر عن أعمق مفاعيل التطور الكامنة في المجتمع[5].

كذلك كتب الأديب والمفكر اللبناني أنيس فريحة (1903- 1993)[6] عن الفضائل التي يعدّها جوهر الحضارة المتوافرة في القرية، ولكنها أصبحت حضارة في طريق الزوال[7].

1– **سلام الراسي:** أديب لبناني، ولد في قرية إبل السقي جنوب لبنان، وهو أحد من أعمدة التراث الحكائي وتراث الأمثال والفلكلور، وكل ما يخص التجربة الشعبية اللبنانية، وتجربة المنطقة اللبنانيّة الريفية الجنوبية بشكل عام. وعُرِف بلقب "شيخ الأدب الشّعبي".

2 – ينظر: سلام، الراسي: حكي قرايا وحكي سرايا، دار الفارابي، بيروت 1976

3– ينظر: سلام، الراسي: حكي قرايا وحكي سرايا، دار الفارابي، بيروت 1976، ص 43

4– **عبد الله العلايلي:** لُغوِيٌ أَدِيب مَوسُوعِي، وفَقِيه مُجدّدٌ لبنَانِيٌّ. من أَبرزِ الشخصِيَّاتِ اللغَوِيَّةِ الإِصلَاحِيَّة التَّنوِيرِيَّةِ. جَدَّدَ فِي المُعجَمِ اللُّغوِيّ وَجَمَعَ بَيْنَ مَفهُومَي "المُعْجَم" و"المَوْسُوعَة". وعُرِفَ بِآرَائِهِ اللُّغَوِيَّة وَالفِقهِيَّة المُثِيرَة لِلجَدَلِ؛ مُتَّخِذًا مِن شِعَارِهِ القَدِيم: "لَيْسَ مُحَافَظَةً التَّقْلِيدُ مَعَ الخَطَأ؛ وَلَيْسَ خُرُوجًا التَّصحِيحُ الَّذِي يُحَقِّقُ المَعْرِفَةَ"؛ نَهْجًا لَاحِبًا فِي مَسِيرَتِهِ الفِكْرَوِيَّةِ الوُجُودِيَّةِ.

5– ينظر: العلايلي، عبد الله: العروق هي الأصل والأديان قيمتها محددة في الزمان والمكان، لقاء أجراه: فرحان صالح وجوزف باسيل، ونشر في كتاب: المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993، ص 11.

6 – **أنيس فريحة:** أديب وصحافي ومدرس وباحث فلكلوري لبناني. دكتور في الفلسفة واللغات السامية ومحاضر جامعي. له أبحاث في اللغة واللهجات والأمثال والملاحم والأساطير القديمة، تميز بدراساته العلمية والأكاديمية.

7– ينظر: رسالة فريحة إلى المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993، ونشر في كتاب، ص 7.

وفي هذا الإطار، لا بد من التركيز على تاريخ القرى، وثقافتها الشعبية، نظرًا إلى غنى هذه الثقافة المتكاملة التي هي تاريخ شفهي تتناقله الأجيال لتحفظه من الاندثار، لأن الذاكرة البشرية معرضة للنسيان كي يبقى التدوين والتوثيق هما الضامن الأساسي للثقافة والتراث والابداع. وليس الهدف من قول ذلك، إعادة الزمن إلى الوراء، لكن لعدم ضياع إرث الأسلاف، وجهودهم وتنظيمهم الاجتماعي والاقتصادي خاصة بعد غياب مصادره البشرية التي تغني معلوماتنا وأفكارنا.

- **في تاريخ الحرف**

الحرف اليدوية من المهارات التي يمكن نقلها وممارستها بحرفية عالية، وقد تطورت صناعة الحرف عبر الزمن، وتحولت من مجرد هواية إلى أعمال ومهن مختلفة، كما أصبحت من أهم الأنشطة التي تلقى اهتمامًا واسعًا.

كانت الحرف ولاسيما تلك التي تساهم المرأة بصناعتها، تساعد في قضاء حوائج الناس، وانجاز أعمالهم التي يستهلكونها، فتؤدي دورًا مركزيًّا في الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، لتجعل الإنسان القروي قادرًا على التكيف مع موارد البيئة واستثمارها بهدف تلبية احتياجات الحياة اليومية. وتعتمد الحرف والصناعات في أدواتها ومعدّاتها على االبيئة التقليدية المحلية.

تعدّ مجتمعاتنا ثرية في حضارتها ولديها مخزون ثقافيّ غنيّ، وقد نتج عنها صناعات يدوية غنيّة ومتنوعة. إذ يلحظ أنه بتنوع هذه الحرف وتباين أهميتها، تكون عبر اختلاف السلع التي تنتجها. وقد حافظت بعض هذه الحرف على خصوصيتها وجمالها، وبقيت صامدة ومحافظة على التطور العفوي في وجه غزو الآلات الصناعية.

والصناعات اليدوية في التقليد اللبناني القديم، عمل تعاوني صرف على الصعيد العائلي الخاص أو الجماعي؛ فالقرويون مثلا كانوا يربّون الماعز والأغنام، ويغزلون صوفها أو يشترون الصوف والشعر لتقوم النساء والفتيات بغزل القطن والصوف والشعر وحياكتها على الأنوال البيتية وصبغها، وأحيانا تطريزها بخيوط الحرير، ثم يخطن من مجموع هذه المنسوجات ثيابًا رجالية ونسائية كالقمصان والسراويل والعبي، أو يصنعن منها "بلسا" وأكياسًا، كذلك يصنعن الحرير وتربية دودة القز أي تربية الشرانق، وهي كانت من الموارد الأساسية الاقتصادية في معظم القرى اللبنانية الجبيلة. وكان يمضي الرجال بما يفيض عن حاجاتهم إلى المتاجرة بهذه الصناعات الحرفية كلها[8].

- **صناعات يدوية**

مهرت المرأة الريفية اللبنانية في صناعة الكثير من الحرف، ومنها:

صناعة أطباق القش، إذ كانت تتم بعد عملية درس المحصول على البيدر، لتقوم المرأة بانتقاء سنابل القمح الطويلة، واستعمالها في صناعة أطباق القش بعد أن ينقّى ويصبغ، تمهيدًا لصناعة الأطباق التي تحتاجها العائلة في أثناء إعداد الطعام وتناوله، فتوضع صحون الطعام على هذه الأطباق التي تستعمل كطاولة سفرة.

كذلك يقع على عاتق المرأة الريفية اللبنانية، مدّ التين على أطباق القش، ووضعها على سطوح المنازل بهدف تعريضها إلى الشمس، وأحيانا يمد التين على الوزال اليابس[9].

8- ينظر: شيبوب، إدفيك: الحرف الشعبية في لبنان، بحث قدم في المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993، ص 372.

9- مقابلة مباشرة مع رية منزل من قرية الخريبية – الشوف (لبنان)، بتاريخ 21 كانون الثاني 2020.

وكانت النساء تصنع أيضًا المواقد للطبخ والمونة مثل صناعة رب البندورة، ودبس العنب، والمربيات، كذلك لصنع الصابون والغسيل، حيث تقوم المرأة بجبل الطين وقصل القمح التي يتم الحصول من البيدر، كما تستخدم المرأة الطابونة لتجهيز خبز التنور؛ وهي عبارة عن موقدة من الطين لديها جدار يوضع عليه العجين للحصول على خبز التنور، فتقوم المرأة بصناعة خبز الصاج أو المرقوق والمناقيش من الصعتر والقورما، ويتم ذلك بوضع العجين على الصاج الذي يوقد تحته الحطب[10].

في المقابل، للمثل سرّ كامن يمنح المرء القدرة على الايحاء، فالمثل لا يفصح إلا بقدر ما يخفي، ولا يوضح إلا بقدر ما يوحي، انه قائم على بلاغته الخاصة، وايجازه المميز[11]. ومن الأمثال التي تؤكد الاكتفاء الذي كانت تعيشه العائلة:

"فلاح مكفي سلطان مخفي"، و"تبن الفلاح بيته (أي موّنه)"، و"بأيلول، موّن عيالك وشيل الهم عن بالك"، و"الحمد لله موّنا البيت وارتاح البال".

وتكشف هذه الأمثال على بساطتها، أهمية الإعداد المسبق لمونة البيت من كل ما يحتاج إليه، وهنا يقع الدور الأكبر على المرأة في تحضير حاجة البيت لموسم الشتاء، في فصل الصيف شهر المواسم، فالحياة في الريف تشكل مجتمعًا مغلقًا من تحضير وتعب، وما يترتب على هذه التحضيرات من جدية في العمل.

لكن تتحول هذه المناسبات أحيانًا لشيء من التسلية والتغيير والفكاهة بين أفراد الأسرة والجيران والأقارب، وتعرف أيضا بالعونة؛ وهي مساعدة جماعية، وتقليد شعبي ريفي يعني التكاتف والتضامن والمحبة انطلاقًا من روح الجماعة، أساسها أن يسدي الجار للجار في الأعمال التي تحتاج إلى أيد كثيرة، وتنطلق من مفهوم التضامن والمحبة وحسن الجوار.

وكان موعد العونة يبدأ بموسم الزرع ويستمر حتى موسم الحصاد، مع ما يترتب عليه من ذلك، من توضيب أكياس القمح والتبن بعد فرزهم وتعبئتهم إلى موسم القطاف، فتتساعد النساء فيما بينهن لإحضار وتجهيز المونة من الحبوب التي تشكل المادة الرئيسة في المطبخ، وتدخل في غالبية الأطعمة منها: القمح والبرغل، والعدس والحمص، والفاصوليا والفول، والكشك والقورما والسمنة والشنكليش.

- **الحلويات والمربيات**

كانت نساء القرية تطهي الحلويات والمربيات على النار في موسم محددة، وهي مزيج من الفاكهة والسكر، وأشهرها مربى السفرجل والتفاح والمشمش والدراق، و"التين بسكر"، و"التين المهبل"، ومربى الخوخ واليقطين والمعقودات أي الفاكهة التي تحفظ كما هي بعد طهوها بالسكر أو الدبس، وأبرزها: التين والمشمش والخوخ والتفاح والسفرجل و"قشر الابو صفير"، والمجففات التي تصنعها النساء من الفاكهة كالتين والمشمش والعنب، والمشروبات كشراب الورد والتوت والعنب والحصرم والرمان وماء الزهر وماء الورد والقصعين، كما تقوم بتجفيف الجوز واللوز والصنوبر لتقدم مع "القلبة" أي "القمح المسلوق" و"الخشاف"، وهو الزبيب المنقوع مع الماء والمحلى بالعسل والدبس، وتقدم كضيافة شتوية،

10- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية الخريبية – الشوف (لبنان)، بتاريخ 22 كانون الثاني 2020.

11- ينظر: وازن، عبده: المثل العربي منتهى البلاغة، بحث قدم في المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993، ص 237.

كما تقوم النساء بجمع الأعشاب البرية الموجودة في حقولهم بكثرة من الصعتر والبابونج والزوفة والقصعين والزيزفون والخبيزة، لتجفف وتوضب بطريقة فنية حيث تغلى وتتشرب، وتوصف كدواء للرشح والكريب وآلام المعدة[12].

- **شغل الابرة والصنارة**

يسجل أنه من القيم اللبنانية التي كانت تعتز بها المرأة الريفية، هي الأشغال اليدوية أو الحرف والمهارات اليدوية، أو "النحيف" من شغل الابرة، وصناعة النسيج وغزل الصوف، أو الصنارة والتطريز مع ما لهذه الحرف من ابداع، وما عرفته من ازدهار على أيدي جداتنا وأمهاتنا[13].

أما شغل الإبرة فيستعمل للوسائد والمناديل والمحارم، بينما شغل الصنارة يحاك منه شرشف صغير يوضع على "السكملة" وهي عبارة عن قطعة خشبية مطعمة ومزخرفة. وهذه الأشغال المتقونة توضع في العليات أو المربع والتي تجهز بأفضل الأشغال من اسكملات إلى "الدشك" إلى المنافض أي الطاولات الصغيرة المزدانة بشراشف المشغولة باليد[14].

- **جهاز العروس**

كان يتم تجهيز العروس في معظم الريف اللبناني، قبل فترة من الزفاف؛ فبداية يجهز فستان العروس الذي يطرز بالدانتيل فوق الفستان. وكان هناك عدة ألوان للفساتين منها: الزهري والأزرق والأخضر، فتختار العروس ما يناسبها.

أما طرحة العروس والكفوف فتشغل بالابرة والصنارة، كما يجهز "الكوفرليه"، ولقحات للسرير وتصنع بالإبرة والصنارة، و"يخرق" أي يقصّ القماش من الدوائر، ويشغل مكانه بـ"الكروشيه" وجوه المساند والدشك والطراحة التي يفصل القالب، ويُعمل لها وجه من الصوف.

أما شغل البرادي المعلقة على الشبابيك التي يميزها شغل العدد و"الكانفا" فيكون شغلها من العدد، كذلك كان يحاك من خلال الإبرة والصنارة، الوسائد والمناديل والمحارم، وكان لشغل المكوك والنول والطاره ميزة خاصة، والطارة قطعة خشبية جوانية وقطعة برانية يُدخل القماش وينّسل ويُفرّغ ويُرسم عليه. أما شغل الابليك والدبوس وشغل "الدانتيل بروتون: فتعد لمفارش المائدة، كذلك شغل "الميلان".

لهذه الأشغال أهمية كبيرة، إذ كان يسمى شغل الابرة "صنعة بعقاقيدها" نظرًا لدقتها وصعوبتها[15].

- **جهاز الطفل**

يبقى موضوع الشغل والتقانة للمولود الجديد، بحيث كانت المرأة تخيط الفستان للبنت والصبي على السواء. وكان القماش من الشاش الرقيق، يطرز بالإبرة عل الجوانب والصدر، وبدل ماكينة الخياطة كانت المرأة الريفية تخيط القماش على اليد بقطبة قدام الابرة. كما يطرز "البربوتاز" وعرقية الولد، وطقية البنت، وأحيانا توضع "التنتنة" على البرنيطة وتُلّبس للولد عند زيارة الأعيان أو الوجهاء في الضيعة.

12- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية مرستي – الشوف (لبنان)، بتاريخ 24 كانون الثاني 2020.

13- ينظر: شيبوب، إدفيك: الحرف الشعبية في لبنان، م. س.، ص 373.

14- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية مرستي – الشوف (لبنان)، بتاريخ 24 كانون الثاني 2020.

15- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية الخريبة – الشوف (لبنان)، بتاريخ 21 كانون الثاني 2020.

وكانت تحيك النساء كنزات الصوف على صنارة أو صنارتين، وكانت القطبة تسمّى حبة الرز وجدلة سنبلة القمح، وحبة الحمص، وحبة العدس حيث تتبارى النساء باتقان أشغالهن أمام بعضهن البعض[16].

ومن الحرف القديمة حرفة "الداية" التي كانت بمثابة طبيب العائلة، أو "الولّادة"، كما تسمّى في بعض القرى، وفهذه "الداية" كان لديها الخبرة والمهارة في تعهد الأم الحامل، والمولود قبل الولادة وبعدها. وتعطى الأجرة بحسب المركز الاجتماعي لأهالي المواليد. ومن مهام "الداية" معاينة المرأة منذ بدء حملها، لحين وضعها الحمل، وتستمر عنياتها فترة أربعين يومًا، فتهتم بنوعية طعامها وسلامتها، وإذا ما تعرضت المرأة لأي وعكة أو مرض، تقوم "الداية" أيضًا بتقديم العلاج الطبي الطبيعي لها، وهو عبارة عن تركيبة من الأعشاب. ومهنة "الداية" كانت تتوارث من جيل إلى جيل[17].

- **صناعة الصابون**

عرف الصابون منذ 2300 عام على الأقل عند الفينيقيين، وكان يستخدم كمادة للمقايضة مع الإغريق قبل أن تتوسع هذه الحرفة بتوسع الأمبراطورية الرومانية، حتى وصلت إلى العصر الحالي[18].

أما صناعة الصابون التي تصنع في قرى الشوف اللبنانية، فكانت تتم بعد نهاية موسم الزيتون، وتوضيب المونة من زيت وزيتون وتوزيعها على بيوت العائلة والاخوة، حيث كان الموسم مشتركًا في العمل والاستهلاك.

كان يستعمل الزيت القديم من السنة الماضية، وهو "زيت جويل" وليس "الفريط". وصناعته كانت تتم بعد إضافة تنكتي ماء لكل 3 كيلو قطرون، فعندما يذوب تضاف إليه تنكتا زيت لتصبح كالمصل، ولونها أبيض. وكانت تمر عملية الصناعة بغلي الخليط على نار الحطب، وإذا ما كان الخليط "مسرس" يضاف إليه القطرون مجددًا، وإذا كان "مبرغل" يضاف إليه الماء، وتبدأ المرأة بتشلية الخليط بالمشلاية على نار خفيفة، وعند عملية الصب يوضع الخليط في الخشب والنايلون، ثم ينتظر أيام قليلة قبل أن يصبح صابونًا بلديًّا. أما هذه الصناعة اليوم، فقد أصبح تتم عبر قوالب جاهزة[19].

- **الحرف عند المرأة الجنوبية**

عملت المرأة الريفية في جنوب لبنان مع الرجل في مختلف المجالات من نكش الأرض، وبناء الحيطان، وصناعة المواقد والدواخين والرفوف، إلى وضع صحون النحاس التي كانوا يضيفون عليها شيئًا من الفن والزخرفة.

16- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية الخريبة، م. ن..

17- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية بعذران – الشوف (لبنان)، بتاريخ 25 كانون الثاني 2020.

18- ينظر: كرد علي، محمد: خطط الشام، جزء 4

19- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية الخريبة، بتاريخ 25 كانون الثاني 2020.

وكانت المواد الأولية المستعملة لبناء جدران البيت، من التراب المجبول بالماء، الذي يحول إلى طين مع شيء من التبن، ويخلط بشعر الماعز ليشتد التراب أكثر. وكانت النساء يصنعن لبنات ويتركنها حتى تنشف لعدة أيام، ثم يركزنها فوق بعضها البعض[20].

من حرف النساء الجنوبيات أيضًا، حرفة التحطيب، لأن البيوت كانت بحاجة إلى الحطب للمواقد في الشتاء، ولصناعة الدواخين وسقوف المنازل. وكان يتم التحطيب في أواخر موسم الصيف من الغابات والوديان المنتشرة في جميع قرى جبل عامل[21].

كذلك عملت المرأة الجنوبية في الخياطة النسائية والرجالية، كما اشتغلن في صناعة التبغ، حيث كان عمل المرأة يتمثل بتوضيب "الأوراق فوق بعضها البعض، وتسمّى "تصفيت" تمهيدًا لفرمها على الهاون. كذلك تعمل بشك أوراق التبغ، وقطافه وتوضيبه ووضعه في الخيش، وهذه العملية تسمى "التدنيك"[22]. كما يقمن بحرفة قطاف التين ويجففونه ويسمى" شريحة" و"دحروب"[23].

وبقيت الحرفة في جبل عامل فطرية بدائية وموادها الأولية عبارة عن أيدي الحرفيين وأدوات أخرى بدائية توفرها لها الطبيعة. أما استمراريتها فعمادها تكاتف العائلة بمجموعها والصلة والعلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع.

- **انتعاش وتحولات**

ساهمت الحرب العالمية الأولى في انتعاش الحرف الشعبية في معظم القرى اللبنانية، ولاسيما بعد أن أقفلت الطرق التجارية، ما أدى بأهل القرى والبلدات إلى الاعتماد على أنفسهم في صنع وتأمين حاجاتهم اليومية والضرورية، فحصل نشاط في المرافق الحياتية العامة.

نستطيع القول إن التحول غزا مستويات المعيشة والثقافة والسلوك، ولحق فئات المجتمع، وسمي بالحداثة، إذ وصلت إلينا تقنيات ووسائل وآلات منتجة أحدثت جميعها ثورة على مستوى العصر، وفرضت تقاليد وسلوكيات وأنماطا وطرق عيش جديدة من مأكل ومشرب وزي وفنون مختلفة.

20- ينظر: بزي، د. مصطفى: تطور الحرف والصناعات الشعبية في جبل عامل، بحث قدم في المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993، ص 416.

21- ينظر: بزي، د. مصطفى: م. ن.، ص 417.

22- ينظر: بزي، د. مصطفى: م. ن.، ص 415.

23- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية أنصار في جنوب لبنان، بتاريخ 26 كانون الثاني 2020.

بعد أن كنا نزرع القمح والعدس والحمص في قرانا، أصبحنا نستورد الحبوب والمواد الأولية، ثم بدأنا نستورد المنتجات من دون التحكم بالمصادر الأولية. وعند هذا الوضع أصبح مصير مستقبل الثقافة والتراث الشعبيين في ضياع، نسبة لما فرضته الظروف من ثقافة معلبة، مستوردة مغايرة لثقافتنا هدفها تحويل العالم الى مجتمع عالمي تسوده قيم موحدة على حساب التنوع الحضاري للشعوب[24].

وبعد أن كانت كل قرية تشكل مجتمعًا قائمًا بذاته، وكانت المفاهيم مشتركة بين المجموعات في القرية الواحدة حيث تتوارث الألفة والمحبة والتعاون والمساندة والاحتفالية الجماعية كما يتوارثون طرق العيش والطعام والفنون، ثم انتقل الإنسان من التصنيع اليدوي إلى التصنيع الآلي تبعًا للظروف، والمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي اجتاحت العالم، وأدت إلى تغيرات عميقة في سلوكيات وحاجيات الأفراد وأنماط الاستهلاك.

نجد أن الأساليب التراثية اليدوية تتعرض للضياع والاندثار بسبب الانغماس الكلي في المدنية، وفقدان الآلات والأدوات القديمة، ودخول آلات حديثة تسهل تلك الأعمال، وتساهم في فقدانها. فقد فقدت أنواع من الحرف، وبقيت حرف أخرى تقوم بها النساء، وبدأت بعض الحرف تتأثر سلبيًا بعد أن بدأت التحولات البنيوية في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وبروز ظاهرة العولمة بكل ما تعنيه من زوال للحدود والحواجز بين الثقافات والتي لا يقتصر مفهومها على الشق الاقتصادي، بل يتعداه إلى الأبعاد السياسة والاجتماع والثقافة. ويزيد مفعولها بزيادة استخدام وسائل الاتصال الحديثة، وفي ظل السيطرة الاتصالية للدول المتقدمة تكنولوجيا، التي فرضت أيديولوجياتها وثقافتها، وما يرافقها من غزو ثقافي للتراث واللغة والعادات والتقاليد والموروثات، مما يعرض الدول الأقل ثقافة، لفقدان هويتها. وكما قال كلود ليفي ستوس (Claude Lévi-Strauss - 1908 - 2009)، الذي أقرّ بالتنوع الثقافي، واهتم بالثقافات المتساوية، داعيا إلى المحافظة على الثقافة الخاصة، كما هي، مؤكدًا ضرورة المحافظة على تنوع الثقافة البشرية وعدم تنميطها، وتحاشي القضاء على خصوصياتها.

إن المجتمعات التي كانت تعيش كل واحدة في تاريخها الخاص ووتيرة تطورها ونموها المستقلة نسبيًّا أصبحت اليوم تعيش في نمط انتاج واحد يتحقق على مستوى الكرة الأرضية، وهذا المجتمع يسمى المجتمع العالمي، حيث يؤدي إلى انحسار الخصوصيات الثقافية والاجتماعية، وتكون خالية من التنوع والابداع. وكما قال مكلوهان صاحب المقولة المهمة عن العولمة، بأنها قرية كونية، بما توحي به كلمة القرية من علاقات قرابة وجوار ومحدودية في المكان والزمان، وهناك أثر وتأثير متبادلان مستمران يقودان إلى الاعتقاد بأن هناك ميلا إلى توحيد الوعي والقيم، وتوحيد طرائق السلوك، وأنماط الانتاج والاستهلاك إي إلى قيام مجتمع إنساني واحد[25].

24- ينظر: حجازي، د. علي: تطور الحرف والصناعات الشعبية في جبل عامل، بحث قدم في المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993، ص 136.

25- بعلي، حفناوي: الثقافة والفنون في زمن العولمة، مجلة الحداثة (فصلية ثقافية أكاديمية محكمة)، بيروت 2003، عدد 70/69، ص 103.

إن الحداثة أو المجتمع الصناعي والتحول الذي حصل ودخلت عليه بعض التحديثات والآلا ت قد حافظت على طابعها الخاص الذي يعتمد على الأدوات البسيطة وإنتاجها لما تشكله من قوى انتاجية يجب المحافظة والابقاء عليها، لتبقى تشكل تراثا وطنيًّا حقيقيًّا، وتحمل الهوية والأصالة كما ان هناك حرفا أخرى يجب أن تدمج في عجلة الصناعة الحديثة.

هذا التحول في موضوع الحرف والمجتمع العربي عمومًا واللبناني خصوصًا، طال وضع المرأة؛ فبعد أن كانت تقتصر علاقاتها الاجتماعية على العائلة والمجتمع القروي المحدود والبسيط، اتسعت دائرة علاقاتها اليوم في ظل الانفتاح والحداثة، ليصبح لها دور بارز في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، والكثير من التطلعات التي تدفعها إلى تحقيق الذات والمساهمة الفعالة في بناء المجتمع. وقد تحولت الصناعات والحرف اليدوية البسيطة من قيم جماعية إلى قيم فردية، فزالت الشخصية الجماعية لتحل مكانها الشخصية الفردية "الأنا". فأصبحت الحرف متمثلة بالفنون التشكيلية والنحت وتصميم وصناعة الملابس وتصميم المجوهرات والاكسسوارات، واستعادة تحضير الطعام التقليدي ليصبح للمرأة مكانة اجتماعية واقتصادية وسياسية، فأصبحت تتبوأ أفضل المراكز، وتتسلم مناصب قيادية بفضل علمها وتفوقها واكتساباتها المعرفية الثقافية في كافة المجالات. وقد حملت المرأة مشعل الريادة وخاضت المعترك السياسي والاقتصادي والقانوني، وترشحت إلى الانتخابات النيابية، وأثبتت نفسها، ثم خاضت تجربة الوزارة ثم العمل مع البلديات، وفي النقابات وحضورها المؤتمرات الخارجية والداخلية.

كذلك شاركت في التعليم الجامعي والمراكز البحثية، وأسست صحفا ومجلات وألفت جمعيات لرفع مستوى المرأة. وأثبتت المرأة أنها قادرة على تحمل المسؤولية بفضل كفاءتها ومثابرتها وطموحها، ولما تملك من طاقات لأجل التغيير والتطوير لتؤمن لمجتمعها السلام والحياة الكريمة الحرة.

عبر العصور وللمرأة دورها الأساسي في انشاء العائلة، لكن بعد التحول الذي حصل أصبحت كالرجل تخرج إلى عملها، وتشارك الزوج في الايجار، وفي أقساط المدارس والجامعات، فالمتغيرات الاقتصادية والسياسية التي أثرت على واقع المرأة في المجتمع القروي منها المتغيرات الديمغرافية والهجرة الداخلية من القرية إلى المدينة حيث سبل العيش مؤمنة والانفتاح والمدنية، كذلك أدت الحرب الأهلية لفترة 15 سنة دورا أساسيا في عملية الهجرة والتهجير القسري من منطقة الى اخرى، كما أن هناك تحررًا في موضوع المرأة من قبل عائلتها، وذلك عبر دفع الفتيات للتعلم والعمل الحر أو الوظيفي ودفعهن للسفر إلى الخارج بعد وجود الفرصة لديهن.

ففيما كانت المرأة تسعى وتناضل وتعمل جاهدة في كل تفاصيل بيتها في الداخل والخارج، وفي حقلها ومزرعتها ومحصولها وصناعتها وحرفيتها، وتتبع المواسم لتؤمن سبل العيش والغذاء والكساء والفرش والدفء عبر انتاجها اليدوي، ومثابرتها وصبرها دون كلل أو ملل صيفًا شتاء، أصبحت المرأة اليوم المسؤولة المنتجة في قطاعات مختلفة، وأصبح عملها يشكل عامل قوة واستقلالية لها وأصبحت تعتمد على الخدم في تربية أولادها، وحتى أبسط الحرف والصناعات والأطعمة التي كانت تهتم بنوعيتها وطريقة تحضيرها بنفسها لأولادها وعائلتها، فهي الأساس في الغذاء الصحي، والمصدر الموثوق من انتاجهم ومحصولهم وغلتهم حتى أصبحت المرأة تتباهى بكمية الأصناف التي تقدم على المائدة، وهذه الأطعمة تكتسب قيمة استهلاكية دعائية، وترتكز على جمال الشكل والصورة والألوان، أو أصبحت تشتري بنقودها ما لذ وطاب، ودائما مستعينة بالمثل الشعبي "اشرايته ولا تربايته".

- **خلاصة وتوصيات**

تبقى الحداثة جارفة ومغرية، لكن علينا عدم الاستسلام بل المحافظة على ذاتيتنا وخصوصيتنا وشخصيتنا وهويتنا منعًا للذوبان والاندثار، لأن هناك خطرا على الأصالة كما يقول أنيس فريحة عندما يتكلم على الأصول للرجوع إلى الحضارة "الجيل الالماني القديم مصر على المحافظة على الحضارة الالمانية الأصيلة، فيطلب من الشباب أن لا يتأثروا بما هو قائم خارج البلاد، وينصحونهم بالعودة إلى الجذور[26]. ونحن نكرر أنه إذا أحسنا التنسيق والاستخدام الصحيح للحداثة والتطور عندها لا يكون هناك انفصام أو قطع مع التراث الذي يحمل روح الجماعة وامكانياتها وطاقاتها.

وفي ظل هذه المتغيرات والتحولات العالمية، نطلب المحافظة على إرث الفرد والجماعة كلها، والدمج بين الأصالة والتجديد عن طريق استحضار الماضي، والاستفادة منه، وليس الغائه للوصول إلى المعاصرة، ونعني بذلك التطلع نحو المستقبل والتجديد والابتكار.

- **التوصيات**

- اهتمت الدولة في لبنان بانشاء الارتيزانا للمحافظة على التراث العريق، ويجب عليها وضع خطط عمل هدفها تأمين التسويق والتصدير واقامة المعارض الدائمة وفتح الأسواق أمام المرأة في هذا المجال.
- من الأهمية تجميع ما نستطيع تجميعه من الموروث الشفهي للحرف والصناعات القديمة، من خلال مقاربة ميدانية لتجمع المادة، وتحفظ وتدون، لتبرز أهميتها، وتحدد مصادرها، من منطلق، موضوعي وفق دراسات مبنية على أسس علمية وتقنيات في عملية جمعها وتصنيفها.
- رفع كفاءة المنتجين أو المهنيين أصحاب الحرف للنهوض بقطاع المهن ولا سيما من خلال تدريبهم في معاهد خاصة. وتعدّ هذه الخطوة مهمة لتمكين المرأة ورفع مستوى معيشتها مع عائلتها، ولاسيما أن المرأة تستطيع كأم وربة منزل أن تمارس هذه الحرف والصناعات بأوقات تتناسب مع وضع عائلتها واولادها.
- التراث هو نتاج جماعي مشترك خاصة بالنسبة للمرأة، لذا يجب حمايته والمحافظة عليه لأنه مسؤولية الجميع، لذا يجب وجود جمعيات للمحافظة عليه.
- إن عوامل تقدم التكنولوجية والمدنية الآتية من الغرب ألقت بأزماتها وتعقيداتها ما أدى إلى ضعف هذه الحرف، لذا يجب علينا الإضاءة على جوانب من تراثنا الشعبي، معززين بعملنا الهادف معان أساسية للانتماء والاعتزاز بالهوية الوطنية.
- توعية كل طبقات المجتمع وابراز أهمية هذا التراث كإرث حضاري له جذوره وأصوله في تشكيل هويتنا الوطنية.
- نستطيع من خلال وسائل وتقنيات الاتصال أن نوصل تراثنا الشعبي وصناعاتنا الحرفية الأصيلة من ضمن عملية تفاعلية مع الآخر.
- إقامة مهرجانات تراثية تضم أنواع الفنون الشعبية، تعرض فيها الحرف والمنتجات اليدوية لابراز جمال وأهمية مورثنا الصناعي والحرفي.
- تنشيط الحركة الحرفية على مستوى النطاق الوطني لخلق وتشجيع مستوى الانتاج واعادة تعزيز الحرف اليدوية، وايجاد الأسواق لانتاج المرأة.

26– ينظر: رسالة فريحة إلى المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993، ونشر في كتاب، ص 9.

تكمن أهمية الدراسة في توطيد العلاقة ومد الجسور بين الماضي والحاضر، فن خلال هذا التراث تتضح الصورة الحقيقية للشخصية الوطنية، وتتضح صلته بالحضارة والأدب والفن وحياة الناس على الصعيد المادي والروحي والنفسي.

المصادر والمراجع

- **المصادر:**
- مقابلات مباشرة مع نساء من قرى الشوف والجنوب اللبناني – 2019 – 2020
- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية الخريبة – الشوف (لبنان)، بتاريخ 21 كانون الثاني 2020.
- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية الخريبة، بتاريخ 25 كانون الثاني 2020.
- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية الخريبية – الشوف (لبنان)، بتاريخ 22 كانون الثاني 2020.
- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية أنصار في جنوب لبنان، بتاريخ 26 كانون الثاني 2020
- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية بعذران – الشوف (لبنان)، بتاريخ 25 كانون الثاني 2020.
- مقابلة مباشرة مع ربة منزل من قرية مرستي – الشوف (لبنان)، بتاريخ 24 كانون الثاني 2020.
- **المراجع**

- بزي، د. مصطفى: تطور الحرف والصناعات الشعبية في جبل عامل، بحث قدم في المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993.
- بعلي، د. حفناوي: الثقافة والفنون في زمن العولمة، مجلة الحداثة (فصلية ثقافية أكاديمية محكمة)، بيروت 2003، عدد 70/69.
- حجازي، د. علي: تطور الحرف والصناعات الشعبية في جبل عامل، بحث قدم في المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993.
- الراسي، سلام: حكي قرايا وحكي سرايا، دار الفارابي، بيروت 1976
- شيبوب، إدفيك: الحرف الشعبية في لبنان، بحث قدم في المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993
- العلايلي، عبد الله: العروق هي الأصل والأديان قيمتها محددة في الزمان والمكان، لقاء أجراه: فرحان صالح وجوزف باسيل، ونشر في كتاب: المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993.

- فريحة، أنيس: رسالة إلى المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993، ونشر في كتاب.
- كرد علي، محمد: خطط الشام، جزء 4
- وازن، عبده: المثل العربي منتهى البلاغة، بحث قدم في المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، الذي نظمته حلقة الحوار الثقافي في الجامعة اللبنانية في 9 و10 و11 كانون الأول 1993.